Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذات ليلة من أخريات رمضان ، بعد ميلاد المسيح عليه السلام بستة قرون وعشر سنين ، لَفَّ أمَّ القرى صمتٌ لاغب مكدود ، لا يُسمع فيه سوى أنفاسِ الليل مختلطة بهمهمة صلوات وثنية ، كانت ماتزال تتسلل من البيت العتيق .

وقمر رمضان لم يبزغ بعد ، فليس على الأفق المعتم سوى ضوء شاحب نحيل ، من نجوم تحجبها عن مكة جبالُها الصخرية الشُّم .

ونامت الدنيا لا تلقى بالاً إلى « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى » إذ أوى إلى غارٍ هناك مستغرقاً فى تأملاته ، يلتمس فى العتمة الداجية شعاعاً من نور الحق وينشد فى خلوته قبساً من هدى ، وخواطره تحوم حول مقام إبراهيم فى البيت الذى آل مع الزمن ، إلى مثوى لأوثانٍ ممسوخة وأصنام شوهاء بلهاء .

والتاريخ مشغول عن هذا الأمى الهاشمى ، بأحداث جسام خارج الجزيرة ، مشدود البصر إلى نذر الانهيار فى عالم يريد أن ينقض . يتابع الجولات الأخيرة للصراع بين قطبى ذلك العالم القديم ، حيث كانت دولتا الفرس والرومان تخوضان حرباً طاحنة على مراكز القوى والنفوذ ، وإحدى الدولتين قد أعشت نار المجوسية بصرها وبصيرتها فما عاد يعنيها سوى أن تجعل من ساحة الشرق كله معبداً لتلك النار العقيم ، تصلاها شعوبه بالقسر والإكراه .

والأخرى قد أثخنتْها جراح الحرب وهدَّتْها أمراض الشيخوخة ، واستنزفت بقايا قوتها فتنةُ الصراع الطائفى بين القائلين بناسوتية السيد المسيح والقائلين بلاهوتيته ، فتهاوى النسر الرومانى على الأرض يجثم على صدور خلق الله ويكتم أنفاسهم ، ويتسلط على مستعمراتهم بالعسف والطغيان والاضطهاد ، فى محاولة تستبقى له من الهيبة ما يستر وهنه ، ويعوضه عن قواه المستنزفة ومجده الآفل .

وبين هؤلاء وهؤلاء ، فلول من عصابات يهود ، تتربص بهم جميعاً الدوائر لترث ملكهم ، وتجعل من الدنيا معبداً للوثن الأصفر ، يستأثر سدنتُه اليهود بمفاتيحه ، ويتولّى أحبارهم شرح طقوس عبادته ، بعد أن عقوا الموسوية وكفروا برسولها ، وكادوا للمسيحية وائتمروا بنبيها ، وحرفوا كلمات كتابهم عن مواضعها ، لتلبى ما تأصل فى خلقتهم من شر وخبث وجشع وأثرة ، وتستجيب لما فى طبيعتهم من قسوة وحقد وعداوة للبشر .